# الآثار العربية ورحلة اللاعودة

● .. تقوم الحضارات وتندثر وتبقى آثارها ومعالمها فيما تمر السنين وتدور عجلة الزمن وتتحول هذه الآثار إلى كنوز وفي اللحظة التي تصير الآثار كنوزا يولد اللصوص وتحاك المؤامرات ويسيل لعاب الطامعين ممن أدمنوا المتاجرة بتراث الشعوب.

فلا يكاد يمر يوم دون أن تصطدم عيوننا بخبر عن إحباط سرقة وتهريب الآثار في بلادنا العربية لينتهي الخبر في العادة بتحويل الأمر إلى النيابة وفي أحسن الأحوال بمصادرة الآثار المهربة وتسليمها إلى هيئة الآثار وتنتهي المشكلة عند ذلك والسبب عدم وجود قانون للآثار في العديد من الدول العربية!!

والتحقيق التالي يناقش الآثار العربية في رحلة اللاعودة من متاحف الغرب.

**تحقيق/ محمد عبدالله السيد**

● تثبت الكثير من الدراسات امتلاك الوطن العربي لكنز ضخم من التراث الثقافي والحضاري كما يمثل مخزنا هاما للآثار والمعالم التاريخية وهو الأمر الذي جعله مطمعا ومكانا مفضلا يتوجه إليه وتقصده العديد من البعثات الأجنبية وهواة وتجار الآثار ومما يزيد الطين بلة أن قانون الآثار في بعض البلدان العربية في فترة من الفترات كان ينص على اقتسام الآثار المكتشفة بين الدولة وتلك البعثات فيما عرف باسم نظام القسمة الذي ظل قائما لفترة طويلة في مصر وغيرها من البلدان العربية.

## هدايا ومطامع

● وفي فترات الضعف السياسي كان معظم قناصل الدول الأجنبية يعملون كتجار للآثار ، وقد نجحوا في نقل الكثير من القطع النادرة إلى بلادهم حتى أن ايطاليا وحدها بها ١٨ مسلة مصرية، إلى جانب ملايين القطع النادرة التي تضمها متاحف اللوفر في فرنسا والمتروبوليتان بالولايات المتحدة الامريكية بالإضافة إلى متحف تورنتو بايطاليا ومتحف برلين بالمانيا.. هذا بالإضافة إلى قيام بعض الحكام في الخمسينات وقبلها بإهداء الضيوف قطعا من الآثار العربية.

ومن المدهش أن الطرق الثلاث السابقة سميت بالطرق الشرعية، وبالطبع فهناك طرق غير شرعية أشهرها عمليات التهريب التي تقوم بها العصابات المحترفة.

يقول هيرمان في كتابه عن سرقة الآثار:« إذا أردت أن تشاهد عظمة مصرف فانظر إلى مسلاتها التي تعبر عن الخلود، خلود الحضارة في أسمى معانيها وإذا اردت أن تشاهد تلك المسلات فاذهب إلى أي عاصمة من عواصم العالم المتحضر فستجد واحدة أو أكثر تتصدر أعظم ميادينها في ماعدا مصر صانعة الحضارة وإذا كان التاريخ قد سجل في فترة من الفترات ١٢٠ مسلة مرتفعة في سماء مصر إلا أنه لم يبق منها اليوم سوى خمس مسلات فقط حيث اختفت تلك المسلات لترتفع في عواصم وحواضر العالم المتقدم ، لندن، باريس، روما، القسطنطينية، نيويورك..

## التراث العراقي والفاجعة

● الآثار المصرية في متاحف الغرب ليس سوى مثالا بسيط عن واقع الآثار العربية التي تم تهريبها إلى الغرب ، لكن تبقى الكارثة التي حلت بالتراث العراقي أشد وافجع جراء الغزو (الامريكي –البريطاني) لها قبل عام ونصف تقريبا وما تعرض له هذا التراث الإنساني من تدمير ونهب وتهريب .. لقد تم ضبط مئات القطع الأثرية في أسواق ومطارات العديد من الدول الغربية!!

يقول الامريكي الدكتور/ جون راسل استاذ الآثار بكلية (ماساتشوستس) للآداب ببوسطن والذي يعمل حاليا مستشارا لوزارة الثقافة العراقية إن أكثر من عشرة الاف قطعة أثرية لاتزال مفقودة من بينها ٢٠ قطعة أثرية في غاية الأهمية..

ويوضح أن العديد من تلك القطع تم تهريبها إلى خارج العراق ووصلت إلى سويسرا والولايات المتحدة وبريطانيا منوها بأن معدل استعادة القطع الأثرية أقل من ٢٠٪

وفي ابريل من العام الماضي وبعد أيام من سقوط النظام العراقي تعرض المتحف الوطني ببغداد لجرائم سرقة وسلبت فيها العديد من القطع الأثرية التي لاتقدر بمال!!

## واليمن أيضا

● في اليمن تكاد الصورة تتكرر مرة أخرى كما حصل في مثيلاتها من الدول العربية الأخرى ، حيث اهتمت المؤسسات العلمية والمتاحف العالمية باقتناء الآثار والنقوش اليمنية منذ بدء الرحلات الاستكشافية في القرن الثامن عشر ثم بتنظيم رحلات البعثات العلمية والآثارية إلى اليمن لجلب الآثار.

وزادت عملية جمع واقتناء الآثار في العصر الحديث وذلك خلال الوجود التركي والاستعمار البريطاني والحكم الإمامي حيث شجعت عملية بيع وتهريب الآثار للخارج.

ووجدت في اليمن – وحيث مناطق الآثار وانتشارها – شبكات تجميع الآثار ونقلها إلى عدن حيث كان يتواجد بعض تجار سماسرة الآثار هناك وتوجد الآن كميات كبيرة من النقوش والقطع الأثرية في حوزة المتاحف العالمية ولدى أرباب المجموعات الأثرية الخاصة ولا يقتصر الأمر على ذلك فقط بل إن المخطوطات اليمنية تعرضت هي الأخرى للتهريب والمتاجرة إلى الخارج خلال العقود الماضية ، حيث هناك العديد من المكتبات العالمية تحتوي على مجموعة من نفائس المخطوطات اليمنية ، مثل مكتبة الكونجرس الامريكية ومكتبة (الأمبروز يانا) ومكتبة الفاتيكان ومكتبة (الأسكوريال) باسبانيا والمكتبة (السليمانية) بتركيا ومكتبة المتحف البريطاني والمكتبة الوطنية بباريس.

## دعوات

● يعتبر اسماعيل محمد أمين عام اللجنة الوطنية لليونسكو في فلسطين أن (التراث الثقافي العربي) جزء لا يتجزأ من التراث العالمي ومنظمة اليونسكو كمنظمة تختص بالتربية والثقافة والتراث فهي منظمة دورها حماية هذا التراث من السرقة والضياع بشكل عام ، فعلى سبيل المثال نحن في فلسطين التراث الثقافي يتعرض للتدمير والتخريب ، نفس الوضع تجده في العراق وأماكن أخرى وسبق أن طالبنا منظمة اليونسكو بأن تقوم بدورها في رعاية هذا التراث والحفاظ عليه ، وهناك قرارات صدرت عن منظمة اليونسكو بالمؤتمرات العامة والمجلس التنفيذي تدعو وتحث على حماية التراث الثقافي في فلسطين من التدمير والتخريب الذي يتعرض له من قبل الكيان الصهيوني وقوات الاحتلال الاسرائيلي ، فهذا دور مهم يجب أن تقوم به المنظمة.

ومؤخرا عقدت اللجان الوطنية لليونسكو مؤتمرا لها في صنعاء طالبت جميعها المنظمة بأن تلعب دورا فاعلاً في استرجاع الآثار التي تم سرقتها وحماية التراث الثقافي العربي خاصة في دولة فلسطين والعراق الشقيق.

ويؤكد اسماعيل محمد أن اللجان العربية في منظمة اليونسكو لن تتوقف عند ذلك فقط وسوف تمارس المزيد من الضغط على المنظمة من خلال المؤتمر القادم الذي سيعقد العام المقبل حتى تقوم بإتخاذ اجراءات عملية ملموسة في هذا المجال ويعتقد أنه باتحاد المجموعة العربية والمناقشة الجادة (والإصرار على مطالبنا سوف نحقق الأهداف التي نرجوها ونتمنى إنجازها وذلك حماية وحفاظا للتراث الثقافي العربي).

## سرقة

● أما سعيد بن سليم الكيتاني المكلف بامانة اللجنة الوطنية لليونسكو في عمان فيقول: إن المنطقة العربية عامة غنية بآثارها وتراثها الثقافي الذي يعبر عن هوية وثقافة الانسان العربي بصفة عامة.

ويردف: مما لاشك فيه أن هذا التراث الثقافي في العديد من البلدان العربية قد تعرض للسرقة والتهريب إلى الدول الأجنبية.

ولعل ذلك هو ما دفع العديد من البلدان العربية حكومة وشعبا إلى الحرص على حماية تراثها والحفاظ عليه بمختلف أنواعه المادي والمعنوي وتشير إلى أن هناك في الفترة الأخيرة جهودا تبذل سواء من قبل الحكومات العربية أو من قبل المنظمات العربية والدولية بهدف الحفاظ على هذا التراث من خلال دراسته وحصره وإعداد البحوث اللازمة التي توثق لهذا المجال.

ويضيف سعيد بن سليم: كما يعلم الجميع هناك جهود تبذل الآن من قبل منظمة اليونسكو للعمل على استرداد الآثار التي تم تهريبها من المنطقة العربية إلى الدول الاوروبية ولم تزل الجهود في هذا الإطار متواصلة حيث تقوم اللجان الوطنية العربية بالتنسيق مع منظمة اليونسكو والمنظمات الدولية الأخرى للتوصل إلى ممتلكات التراث العربي وعودة ما تم فقدانه من التراث العربي إلى بلدانه الاصلية وذلك كجزء من الهوية الانسانية العربية ومن الثقافة العربية عامة.

## محاولات

● المحاولات الجادة للدول ذات الحضارات القديمة التي تعرضت آثارها للسرقة مثل مصر وايران والعراق والصين بدأت منذ الستينات بمطالبة المجتمع الدولي ممثلا في منظمة اليونسكو برد هذه الآثار إليها.

وبتكرار المحاولات نجحت هذه الدول الأوروبية برد بعض الآثار التي دخلت إليها بطرق غير مشروعة.

وبالفعل استطاعت هذه الدول الضغط على منظمة اليونسكو التي أصدرت توصياتها في هذا الخصوص ، إلا أن الفرحة لم تكتمل حيث كانت توصيات مشروطة بأن تقدم دولة الموطن المستندات التي تثبت أن الأثر ينتمي إليها وأن يكون الأثر مسجلا في سجلاتها وأن تقوم هذه الدول بتحديد مكان الاكتشاف والطريقة التي خرج بها.

غير أن الدول الاوروبية قامت هي الأخرى بإصدار قوانين داخلية خاصة منها ما ينص على أن كل أثر مضى على دخوله أرضها ٢٥ عاما يعد أثرا قوميا لايمكن التفريط فيه.

وهذا ما حدث مع تمثال رأس الملكة (نفرتاري) الذي كان قد خرج عام ١٩٩٢م في الواقعة التي تعرف بعملية السرقة الكبرى على يد مهرب الآثار الانجليزي جوناثان كوبل بيري وقد قدمت وزارة الثقافة المصرية في حينها الأوراق الدالة عليه سنة خروجه وعلى الطريقة التي خرج بها إلى المحاكم الانجليزية من خلال مكتب محاماة تولى القضية بمتابعة من السفارة المصرية هناك ليعود أخيرا رأس الملكة (نفرتاري) في ٢٠٠١م تاركا وراءه مجموعات أخرى نادرة في كل العواصم الاوروبية بدون استرداد.

## ظاهرة خطيرة

● أحمد صالح المعاينة مدير إدارة المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم باللجنة الوطنية لليونسكو باليمن يحذر من خطورة ظاهرة تهريب التراث الثقافي العربي ويصفها بانها خطيرة جدا ومقلقة حيث نجد الكثير من متاحف العالم تحتفظ بمئات القطع الأثرية النادرة التي تعود ملكيتها الحقيقية للبلدان العربية.

ويستطرد قائلا: في الفترة الأخيرة انطلقت العديد من الصيحات المطالبة بعودة واسترجاع هذا التراث الثقافي ، كما أن هناك محاولات كثيرة لإصدار تشريع قانوني واضح ينص على استرجاع الحقوق التراثية.

ولكن نحن ضمن إطار عام وليس بمفردنا وضمن قوانين وأنظمة دول ومنظمات تعمل في هذا المجال.

لذا استطيع القول إنه إذا استمرت الدول العربية وأصرت على استرجاع آثارها مستخدمة كل القنوات والوسائل الممكنة في سبيل إرجاع تراثها الثقافي الانساني خاصة وأن العديد من الدول الأخرى قد تمكنت من استعادة بعض آثارها من متاحف الغرب.

## نتجول

● على الرغم من اختلاف الوجوه إلا أنه تتشابه الاجابات حتى تكاد أن تتحد وتتطابق ، ولكن لاجديد رغم الصيحات والدعوات وهنا تقول نعيمة ثابت أمين عام اللجنة الوطنية المغربية:

موقفنا في اللجان الوطنية العربية لليونسكو من ظاهرة تهريب الآثار والتراث الثقافي العربي إلى الغرب يمثل موقف الشعوب والحكومات العربية ، بحيث أننا لا نسمح بمصادرة التراث الثقافي العربي وتهريبه إلى خارج الوطن العربي.

لكن بصفتنا في اللجان الوطنية وأعضاء في اليونسكو نؤكد بأننا نسعى جاهدين وباستمرار إلى التذكير بضرورة حماية كل الممتلكات الثقافية من التهريب والتدمير وحمايته من كل أنواع وأساليب المتاجرة.

وعملية وصف دور اليونسكو في هذا المجال بـ(الخجول) استطيع القول بأن الدور الخجول لايرجع إلينا في اللجان الوطنية العربية لليونسكو لأن مطالبتنا قوية في هذا الاتجاه فنحن لسنا أصحاب القرار والأمر، حيث المنظمة (اليونسكو) تسلك حسب امكاناتها وضغوط الدول الأخرى لكن نحن في اللجان الوطنية نصر ونحاول مع جميع الأطراف في محاولة هادفة إلى استرجاع ما يمكن استرجاعه من التراث الثقافي العربي الذي فقدته الأمة في وقت من الأوقات.

# معارك تحرير الآثار المهربة بدأت في الستينات و(فرحة لم تكتمل)!

---

أشواق

عبدالكريم الخميسي

## مرق الدولة..!!

■ إذا كان المردود الوحيد من ممثلي الشعب هو : الكلام .. ولا شيء غير الكلام ففي «صحافتنا» ما يغنينا عنهم ويزيد .. وإن كانت الصحافة لا تكفي فهناك الإذاعة والتلفزيون وأخواتهما.!!

■ وأنا هنا لا أقلل من أهمية الدور الذي يقوم به النواب في التعبير عن هموم الناس ، وامتصاص غضبهم وتذمرهم .. ولكن «ناخبيهم» لم يبذلوا المال، والعرق، والدم لمجرد أن يسمعوا نشر الغسيل ، وتصفية الحسابات، وانما أرادوا إن يضعوا تحت قبة البرلمان نواباً يستثمرون حصانتهم الدستورية في حماية المواطن من أي ظلم ، أو تعسف ، أو إجحاف.

■ فماذا كانت النتيجة ؟؟ هل سمعتم عن قانون أو مشروع قانون تقدم به واحد من ممثلي الشعب، وأقره البرلمان لتجريم القمع الذي يمارسه جنود البلدية ضد الباعة المتجولين ؟!

■ وهل سمعتم عن قانون يسنه مجلس النواب لمنع شركة الكهرباء من فصل التيار عن حيّ بأكمله لمجرد أن أحد السكان لم يسدد الفاتورة؟!.

■ وهل سمعتم عن قيام مجلسنا التشريعي الموقر باصدار قانون يمنع الترويج «للدخان» في الساحات والميادين العامة، وفي وسائل الإعلام الجماهيرية؟!

● قد يظهر من يقول إن هناك ما هو أهم من هذه الأمور، وأكثر خطورة، ولكن حتى هذه الأمور السهلة لم نحصل عليها، فكيف نحلم بما هو أصعب ؟! وحسبنا أن نعرف: أن فاقد الشيء لا يعطيه، والمثل الشعبي يقول: "إذا أدت لك الدولة مرق لقّيت طرفك"..!!

ص.ب (٤٨٤١)
alkhmisy @ hotmail . com

---

## الرهان الخاسر

**محمد ولد الشيخ**

■.. لعل من أكثر الامور اثارة للسخرية نظرتنا كعرب للمرشحين للرئاسة الأمريكية ومراهنتنا دائما على ان مرشح الحزب المعارض سيكون اكثر انصافا لنا من سلفه، وهي نظرة تتكرر في كل استحقاق رئاسي لنفاجأ بعد وصول الرئيس الجديد بأنه اشد بعدا عن قضايانا وأكثر التصاقا بأعدائنا من سلفه حتى اننا نتمنى لو ان الرئيس السابق ظل في منصبه، وهذا هو حالنا الآن ونحن ننتظر ما سيقوله «كيري» مرشح الحزب الديمقراطي للرئاسة الأمريكية لعله يشير ولو من طرف خفي إلى اهتمامه بقضايانا او تعاطفه مع معاناتنا لكي نجعل مثل هذا التلميح ذريعة فنتحول بموجبها الى تأييده بشكل مطلق في مواجهته مع منافسه الذي نكن له الكثير من عدم الود بسبب مواقفه المتشددة من كل قضايانا بدءا بفلسطين ومرورا بالعراق وانتهاء بالسودان والحرب على الاسلام باسم مكافحة الارهاب.

ولكن المضحك – المبكي ان السيد «كيري» لم يبد ليونة تجاه رغبتنا بل انه بدا أكثر تشددا من سلفه اذ تعهد بعدم الاعتماد على النفط السعودي وتلقى اثناء وجوده في بوسطن اتصالا من شارون يشيد فيه ببرنامجه الانتخابي وما يتضمنه من نقاط تصب في مصلحة اسرائيل.. ومن هنا نجد ان هذه الانتخابات من أكثر الانتخابات الأمريكية صراحة في عدائها لكل ما ندافع عنه ولذلك فإن النظرة اليها لا يجب ان تكون سوداوية بقدر ما يجب ان يعطينا الأمل في أن عصر الكذب على الذات بدعم هذا المرشح او ذاك قد انتهى غير مأسوف عليه ولذلك فإنه من المهم أن يتم توجيه الدعم لخلق لوبيات جديدة والاعتماد على النفس في مواجهة من يناصرون عدونا وعدم اختيار اي منهم حتى ولو كلف ذلك عدم التصويت او اختيار المرشحين بناء على برامجهم الداخلية وما يحققونه للمسلمين والعرب في أمريكا وان تعمل الحكومات العربية والاسلامية على تنمية علاقاتها مع الاتحاد الاوروبي كبديل عن الانحياز الأمريكي الواضح لاسرائيل ومسارعة كل من يرغب في اعتلاء العرش الأمريكي الى احتضان اليهود لأن الرهان على تغير نظرة الأمريكيين لنا هو رهان خاسر وفقا للمعطيات التي تحرك السياسة الأمريكية ولا ينتظر ان تتغير هذه المعطيات في القريب العاجل.

● في اليمن تكاد الصورة تتكرر مرة أخرى كما حصل في مثيلاتها من الدول العربية

يمكن استرجاعه من التراث الثقافي العربي الذي فقدته الأمة في وقت من الأوقات.

السياسة الأمريكية ولا ينتظر ان تتغير هذه المعطيات في القريب العاجل.